مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة التاسعة، العدد الثاني، صيف ١٤٣٤هـ
صفحة ٥- ٢٤

ملامح القضية الفلسطينية في أدب المهجريين

عبد الغني ايرواني[١]، علي سعيدآوي[٢]، جمال طالبي قره قشلاقي[٣]*

١. أستاذ مساعد ـ قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة إصفهان
٢، ٣. طالب دكتوراه ـ قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة إصفهان

(تاريخ الاستلام: ١٤٣٣/١١/٢١ ؛ تاريخ القبول: ١٤٣٤/٣/٥)

ملخّص المقال

يتناول هذا المقال إحدى أهم القضايا العربية والإسلامية في الأدب المهجري وهي قضية فلسطين. فإن الأديب المهجري بالرغم من بعده عن الوطن العربي ومعاناته من قسوة الحياة في بلاد الغربة، ظلّ يتعاطف مع إخوانه الذين آثروا البقاء في أوطانهم وتحملوا آلاماً كثيرة لا تطاق من قبل المستعمرين والمحتلين الذين ساموهم سوء الحال. كان أدباء المهجر يتابعون أخبار الوطن العربيّ وقد تنبهوا إلى الخطر المحدق بالبلاد العربية من قبل الصهاينة ورفعوا أصواتهم ليلفتوا انتباه حكّام العرب إلى الدسائس التي تحاك ضدهم وأشادوا بكفاح أبناء فلسطين وثوراتهم المتواصلة ونددوا بالاستعمار البريطاني واعتبروا ما حل بالشعب الفلسطيني مؤامرة قد حيكت من قبله. وفي هذه الدراسة تابعنا ـ في ضوء المنهج الوصفي التحليلي ـ مسألة فلسطين في الأدب المهجري من ثماني جهات وهي:

١. التنبيه إلى الخطر الصهيوني في وقت مبكر ٢. تصوير آلام الشعب الفلسطيني ومآسيها ٣. إدانة عدوانية الصهاينة وكشف زيفها ٤. التنديد بتقصير العرب وحكامهم في الدفاع عن فلسطين ٥. تهديد المحتلين والدعوة إلى النضال ٦. التنديد بالإنكليز من أجل مساعدتها للصهاينة على إقامة كيان لهم في فلسطين ٧. ضرورة الوحدة العربية الإسلامية ٨. اقتراح تشكيل دولة يهودية في مكان آخر..

الكلمات الرئيسة

فلسطين، أدب المهجر، المقاومة، الخطر الصهيوني.

---

* الكاتب المسؤول الهاتف: ٠٩١٤٣٤٥٥٥٦٧ Email: jamal_talebii@yahoo.com

مقدمة

قلما نرى في التاريخ أمة جرى عليها ما جرى على الشعب الفلسطيني، من اغتصاب أراضيه وتشريده منها. غير أن مأساتهم التي تصدّعت لها القلوب وانهالت من أجلها الدموع كانت مرتعاً خصباً للكتاب والشعراء داخل الأقطار العربية والإسلامية وخارجها.

عندما اقترح بلفور وزير الخارجية البريطاني عام ١٩١٧م تشكيل دولة يهودية في فلسطين قامت الاحتجاجات ضدّه في الأراضي الفلسطينية وخارجها، ولعب الأدب دوراً هاماً في هذا المجال؛ لأنّ الشعراء والكتّاب أخذوا ينظمون القصائد ويدبّجون المقالات مناهضين للعدوان الصهيوني.

والسبب الرئيس الذي دفعنا إلى دراسة هذا الموضوع، أن دارسي الأدب المهجري اعتنوا بدراسة هذا الأدب من زوايا مختلفة، وبذلوا في ذلك جهوداً متضافرةً، ولكن الحظّ الأوفر من تلك الجهود صرف إلى دراسة الحنين في أدب المهجريين، والاتجاه القصصي والتأملي، والظاهرة القومية في أدبهم. غير أن القضية الفلسطينية التي تشكل جانباً هامّاً من الظاهرة القومية في أدبهم لم تحظَ بعناية كبيرة. فإننا حين ندرس تلك الآثار والمؤلفات المعتنية بأدب المهجريين نجد أن هؤلاء الدارسين اكتفوا بإشارات عابرة إلى هذا الموضوع ولم يعطوه حقّه من الدراسة والتحليل كما ينبغي. والذي يراجع إلى ما كتب عن القضية الفلسطينية يجد هناك إيضاحات مختزلة، اقتصرت على عدّة أسطر وبعض الشواهد الشعرية.

تتضح أهمية هذه المسألة بوضوح عندما يجد القارئ لسيرتهم أن أكثر الشعراء المهاجرين كانوا من المسيحيين العرب الذين هاجروا إلى القارة الأمريكية، وقلما نرى بينهم من كان يدين بدين الإسلام. كما أننا ما وجدنا من بينهم من كانت فلسطين مسقط رأسه، وهذا يعكس مدى القيم الخلقية والإنسانية في أدبهم. ولذلك ما تهدف إليه هذه الدراسة المتواضعة هو تبيين مرتكزات القضية الفلسطينية وملامحها في أدب المهجريين. وبما أن القضية الفلسطينية في أدب المهجريين تعد من الأدب الملتزم، إذاً فلابد لنا أن نتطرق إلى تعريف الالتزام في الأدب وخصائصه.

الالتزام في أدب المهجريين

إذا كان مفهوم الالتزام مشاركة الشاعر والأديب «مشاركات واعية في القضايا الإنسانية الكبرى السياسية والاجتماعية والفكرية» (أبو حاقة، ١٩٧٠، ص١٣)، فإنّ كثير من شعراء المهجر وأدباءه يقعون في مقدمة الشعراء الملتزمين بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة.

لم يشهد القرن العشرون مأساة كوت قلوب الإنسانية، أكبر من مأساة الفلسطينيين الذين أخرجوا من مسقط رأسهم واحتلّ العدوّ الغاصب أراضيهم، فانعكست أصداء هذه المأساة في أدب كثير من المهجريين الذين لم يكن فلسطين موطنهم. لذلك اتخذت قضية فلسطين طابعاً إنسانياً في نتاجاتهم الفكرية. هؤلاء الشعراء والأدباء كانوا يشعرون بالمسؤولية أمام المجتمع الذي ينتمون إليه وأمام الإنسانية جمعاء، وكانوا يحاولون أن يتخذوا موقفاً صريحاً إزاء ما يحدث حول فلسطين على الصعيد الدولي والإقليمي.

لم يكن التزام شعراء المهجر وأدباءه مجرد تأييد نظري للفلسطينيين، فإنّما كان سعي وافر لتحقيق آمالهم ومحاولة تغيير الواقع الراهن. فلذلك خرجت محاولاتهم من الإطار الفكري وأخذت صورة فعلية تظهر في طيات نتاجاتهم الغزيرة. ومن هنا كان الالتزام عندهم «مرتبطاً بالعقيدة منبثقاً من شدة الإيمان بها، صادراً في جميع أشكاله وأحواله عن إيديولوجية معينة يدين بها الفكر الملتزم» (أبوحاقة، ١٩٧٠، ص١٤).

فلسطين في أدب المهجريين

إن القضية الفلسطينية تعدّ أكبر تحدّ واجهته الأمة العربية الإسلامية في العصر الحديث، وقد حظيت باهتمام الأديب العربي منذ وعد بلفور الذي اعترف بحق اليهود المزعوم في إنشاء وطن لهم في أرض فلسطين، وقد جرّ هذا الوعد مآسٍ ومصائب كثيرة على الشعب الفلسطيني والأمة العربية. وشعراء المهجر تابعوا القضايا التي مرّت بوطنهم منذ ساعة رحيلهم عنه خاصةً قضيّة فلسطين. «ومع مأساة فلسطين انسكبت شكوى الإنسان العربي بحمىً مخيفة، لقد كان جرحه ينزف باستمرار مأساوي مرعب سيولاً من الكلمات المتمردة المعذبة وكان ماضيه الذي يمتزج بشبح الأرض العذراء المنسرحة الشاكية يموسق أغنيته للأرض الأم» (أمطانيوس، ١٩٦٨، ص٢٨٠).

إن القضية الفلسطينية شغلت العقل العربي وألهمت شعراءه وكتّابه من المشرق إلى المغرب

وهذا يدلّ على الأهمية البالغة التي تمتلكها هذه الأرض المقدسة في قلب الأمة العربية والإسلامية. إن الإبداعات الشعرية والنثرية تعبر عن تألم الأدباء من العدوان الصهيوني ومن اعتدائهم على فلذة عزيزة من الوطن العربي وتؤكّد مساندة الشعوب العربية الأخرى لفلسطين لاسترجاع عزتها وسيادتها. وهذه القضية هي خير مثال لصيحة أطلقها أدباء العرب في وجه عدو مشترك.

ولقد احتلت قضية فلسطين مكاناً واسعاً في أدب المهجريين، «إذ لا يكاد يخلو نصٌّ يقدمه شاعر من الشعراء المبدعين من فلسطين ومما يعانيه أهلها من ظلم الصهاينة وجورهم حتى إننا نرى بعض القصائد تخرج عن الإطار الفني في صياغتها. وما ذلك إلا نتيجةً للحماسة الفائقة والحمية الصادقة التي تعتري الشاعر عندما يتعرض لفلسطين وأهلها. وهذا ليس غريباً؛ لأنّ الغصن وإن امتد خارج دائرة شجرته، إلا أنه يظل في حنين دائم إلى جذوره التي تهبه عناصر الحياة» (عبد الدايم، ١٩٩٣، ص١٠٧).

إنّ أدباء المهجر كانوا يهتمون بالقضية الفلسطينية اهتماماً خالصاً وكانوا يسعون ليميطوا اللثام عن المؤامرات البشعة التي تضمرها الصهاينة للعرب والمسلمين، وقد أدّوا رسالتهم في هذا المضمار خير ما تؤدّى رسالة. ولكن في آذان الملوك صمم وعلى أبصارهم غشاوة.

لم يكن جلّ اهتمام أدباء المهجر مصروفاً إلى تصوير أوجاع الفلسطينيين والمشاركة في آلامهم، بل إنهم استوعبوا قضية فلسطين في جميع جوانبها، مؤكدين تضامنهم مع الشعب الفلسطيني المظلوم. وفيما يأتي، نشير إلى أهم ملامح قضية الفلسطين في أدب المهجريين:

١. التنبيه في وقت مبكّر إلى الخطر الصهيوني

منذ بداية القرن العشرين نرى أن كثيراً من الشعراء والأدباء قد تنبّهوا إلى الخطر المحدق بالعرب والمسلمين من قبل الصهاينة ولم يكن أدباء المهجر بمعزل عن ذلك حتى نرى أن أدبهم قد طبع بميزة وهي التنبيه إلى هذا الخطر.

من الشعراء والأدباء الذين تنبهوا مبكراً للخطر الصهيوني واستشعروا ما تحوم حول الأرض المقدسة من أهوال، الشاعر المهجري أبو الفضل الوليد. وقد أولى القضية الفلسطينية اهتماماً كثيراً ونرى ديوانه زاخراً بالقصائد التي تعالج اغتصاب فلسطين. ونرى فيها أنه كان يتنبأ نوايا اليهود والصهاينة ومطامعهم العدوانية ومؤامرة العدوان ضد الشعب الفلسطيني الإسلامي في الأربعينات وجاء في أشعاره:

فَـلا تَنَـامِي عَلَـى الضّـيمِ وَلا تَقِفِـي حَيرَى فَرُوحُ صَلاحِ الدِّينِ تَرعاكِ
مِـنَ الفَـرَنجِ أرَى الإسْلامَ في خَطَـرٍ وَلِلْيَهُــودِ انتِــهَاك بَعْــدَ إنهــاكِ

(الوليد، ١٩٧٢، ص٩٢)

ويظهر من البيتين المذكورين أن أبا الفضل الوليد كان واعياً إزاء الأحداث وكان يرصدها بعيون يقظة، ويستشعر الخطر المحدق من قبل الدول الأوربية ضدّ الشعب الفلسطيني. ومن جانب آخر نرى الشاعر، كأنّه يريد أن ينبّه إلى مسألتين. الأولى: إن الإسلام لا يقبل الظلم والعدوان. والشاعر يستدعي لذلك الشخصيات البطولية في تاريخ الإسلام التي كانت لهم دور ريادي في الفتوحات الإسلامية، حتّى يحرّض الشعب والدول العربية والإسلامية لتصدي العدوان الذي يكمن لهم. الثانية: يشير الشاعر إلى اليهود وما كان لهم من نقض العهود زمن الرسول الأعظم ﷺ وإيذاء الرسول والمسلمين. وبذلك يعكس مدى التزامه وتضامنه مع الشعوب العربية والإسلامية.

والأديب الآخر الذي ساهم في توعية الشعب العربي لنيّات الإنجليز والصهاينة المغرضة هو الكاتب الرحالة أمين الريحاني الذي تجول في كثير من البلدان العربية في الشرق الأوسط واطلع على أحوالها عن كثب. وهو أدرك خطر الصهيونية، قبل أن تولد إسرائيل. يتجلّى اهتمام الريحاني بقضية الفلسطين في مقالاته التي كان ينشرها في الصحف والمجلات، فيقول في إحدى مقالاته محرّضاً الشعب العربي والإسلامي: «الصهيونية متحدة فعلينا بالإتحاد. الصهيونية منظمة فعلينا بالتنظيم. الصهيونية مجاهدة فعلينا بالجهاد. الصهيونية شديدة الإيمان فعلينا بإيماننا العربي القومي، نوحده ونعززه. الصهيونية غنية وما نحن بفقراء. وللصهيونية دعاية كبيرة في العالم فعلينا أن نقاومها بدعاية مثلها» (الريحاني، ١٩٥٦، ص١٤٨).

يبدو أن الريحاني يدعو في هذه المقالة إلى الوحدة والتضامن ضدّ الصهاينة. غير أن هذه المقالة ترجع إلى عدّة سنين قبل تشكيل الدولة الصهيونية. فقد اهتم الريحاني بالخطر الصهيوني منذ مطلع القرن، فكتب وحاضر في أميركا وفي البلاد العربية محذراً من الأطماع الاستيطانية في فلسطين، وندّد بوعد بلفور وبنكوص الدول العربية أمام الخطر المحدق بهم قائلاً: «عما يعترينا نحن العرب من النص والضعف والفساد مما أدى بنا إلى ما نحن اليوم فيه» (الريحاني، ١٩٥٦، ص١٤٧).

٢. تصوير آلام الشعب الفلسطيني ومآسيها

إنّ اغتصاب أرض فلسطين وإخراج أهلها منها لمأساة عظيمة متعددة الجوانب، وكل جانب منها يستأهل أن يكون موضوعاً لعشرات القصائد والقصص والمقالات فاستعان أدباء المهجر بقرائحهم الوقادة وصوّروا كثيراً من تلك المآسي في قصائد وقصص رائعة. من هؤلاء الأدباء الشاعر القروي يقول في قصيدة له مخاطباً الصهاينة:

تَجنِـي علَـى وَطَـنِ المَسـيحِ مُـدَمِّراً وَتُـذِيعُ أنّـك فِـي الـبِلادِ مُعَمِّـرُ

(القروي، ١٩٨٣، ص٢٢٧)

يعتبر الصهاينة أنفسهم معمرين مصلحين في الأرض بينما لم يتركوا في فلسطين إلا الخراب والدمار. ولما حلّت النكبة بأرض فلسطين وأخذ أهلها ينزحون عنها شاردين، لاجئين فتحول صوت الشعراء والأدباء صراخاً يدوي في مشارق الأرض ومغاربها يستفسر الوجدان الإنساني ويستنهض الضمير العربي الإسلامي والإنساني. فانسحب الشعر من ساحة العقل والتأمل ليدخل واحة العاطفة والإحساس ليكون أبلغ في التعبير عن مأساة الشعب الفلسطيني. ونراه في موضع آخر يهجو الشاعر العبراني روبين الذي نشر قصيدةً في جريدة فلسطينية يذم فيها العرب وقد خاطبه قائلاً:

روبـــين تِلـــكَ يَرَاعَـــةٌ أم حَيَّـــةٌ بِـالحبرِ تَكتُـبُ أم بِسُـمٍّ تَقطُـر؟

شُـكراً علَـى المـدحِ الّـذي أسـدَيتَه إنَّ اللئـيمَ علـى المذمّـةِ يشـكُر

تَرمِـي الأعَـارِبَ بِالنّذَالـةِ مِثلَمـا يَرمِـي الكَواكِـبَ بِالسَّـفَالةِ بُحتُـرِ

(القروي، ١٩٨٣، ص٢٢٩)

وهنا ينبّهنا الشاعر القروي أن القضية الفلسطينية قد خرجت من إطار السياسة ودخلت في عوالم الأدب عامة والشعر خاصة، وهذا يبدو واضحاً من هجاء روبين الشاعر العبراني، العرب وذمّهم. ولذلك نرى القروي يغلي غضبه وتجيش عاطفته، ويتّهمه بأنه حيّة يلدغ العرب ويشكره من أجل هجائه ومذمّته، فكأنه يشير إلى قول الشاعر العربي:

وَلَقَـد أمُـرُّ علَـى اللئـيمِ يَسُـبُّني فَمَضَـيتُ ثمّـتَ قُلـتُ لا يَعنِـيني

كان إيليا أبي ماضي من شعراء المهجر الذين بذلوا اهتماماً بالغاً لمسألة فلسطين ولتصوير آلام الشعب الفلسطيني معاناته والمصائب التي يتحملها. ومن أفضل قصائده القومية، قصيدة

قالها في فلسطين وعنوانها "تأبي فلسطين أن تذعنا" وقدّم فيها صورة رائعة للمعاناة التي عاشها العرب في فلسطين، نراه يقول:

فَخَطبُ فِلسطينَ خطبُ العُلى ... وَمَا كَانَ رَزءُ العُلى هَيّناً
وَكَيفَ يَزُورُ الكَرَى أعيُناً ... تَرَى حَولَها لِلرَّدَى أعيُنَا؟
وَكَيفَ تَطِيبُ الحياةُ لِقَومٍ ... عَلَيهم دُرُوبُ الُمنى
بِلادُهُم عُرضَةٌ للضّياعِ ... وَأمَّتُهُم عُرضَةٌ للفَنَا
يُرِيدُ اليَهُودُ بَأن يَصلُبُوها ... وَتَأبى فِلسطِينُ أن تَذعَنَا
وَتَأبى الُمروءةُ في أهلِها ... وَتَأبى السُّيوفُ وَتَأبى القَنَا

(أبو ماضي، ٢٠٠٥، ص٤٤٠)

يصف الشاعر في هذه القصيدة حال الشعب الفلسطيني وأن خطبه وبلاءه هو خطب الله سبحانه وتعالى وهو ليس بقليلٍ ولا هينٍ وأن الشعب الفلسطيني لم يذق للنوم طعماً، كيف ينام وعيون الموت تحدق به من كل جانب وكيف تهنأ لهم الحياة وأن آمالهم سدّت أمامها الطرقُ. بلادهم أمست عرضة للضياع والهلاك وشعبهم يهدده الفناء والدمار. كيف يطيب العيش لأمة يريد اليهود أن يصلبوها. ولكنها أمةٌ أبيةٌ لا ترضخ بسهولة لهذه المقاصد الشيطانية والمروءة التي تحملها بين جنبيها تأبى أن تبقى سيوفها مغمدةً ورماحها مطروحةً. كما ذكرنا آنفاً أن أبا الفضل الوليد الشاعر المسلم كان من شعراء المهجر الذين بذلوا أقصى جهودهم ليصوروا آلام الشعب الفلسطيني في أشعارهم، يقول أبو الفضل الوليد في قصيدة له وكأنه يعزف بقيثارته نغمةً حزينةً:

وَكَم عَلَيها دِماءُ المسلِمينَ جَرَت ... وَكَم تَسَاقَطَ فيها مِن سَرَاياكِ
يَا قُدسُ مَكّةُ قَد آسَتكِ بَاكِيةً ... لما أتَاهُ بِنَفيِ الدّينِ مَنعَاكِ
إنَّ الرّزيئةَ كُبرى لا عَزاءَ لَها ... حَتّى اليَهودي أخزَانا وَأخزَاكِ
عَلَى نَبِيِّهم غَدَا فِي أرضِهم أسراً ... وَلم يَكُن فِي حَمَاهُم غَيرُ هَتّاكِ
يَا حَسرتا وَيَا وَيلاهُ مِن زَمَنٍ ... أضرَى الثَّعالِبُ فَانتاشَت بَقَايَاكِ
مِن إرثِهِ يُحرَمُ الفَادِي لَه بِدَمٍ ... وَلِليَهُودِ احتِكَامٌ بَعدَ إملاكِ

(الوليد، ١٩٧٢، صص٩٢-٩٤)

يرثى أبو الفضل الوليد لدماء المسلمين التي انسابت فوق أرضهم وللبيوت التي تهدمت على رؤوس ساكنيها ويرى أن ما حل بفلسطين رزية كبرى حتى أن مكة أخذت تواسيها باكيةً لما سمعت بنعيها. ويعتقد الشاعر أن الجانب المزري في هذه المصيبة التي نزلت على العرب أنها جاءت من قوم كانوا محتقرين طوال التاريخ وهو يقول: «حتى اليهودي أخزانا وأخزاك» ويتحسر من زمانٍ أمست فيه الثعالب (اليهود) كالضواري تهتك وتفتك من دون أن يقف أمامها أسد ليردّ عها عما تفعل.

توفيق بربر شاعر آخر من شعراء المهجر وقد أعطى فلسطين والعرب جزءاً من حياته وأدبه. يشبّه توفيق بربر في إحدى قصائده حال الأمة العربية بالكبد التي تقطّعت وانتثرت وهي صامتة لم تنبس بكلمةٍ لما حلّ بفلذتها المقدسة ولكنه يرى أن هذا السكوت ليس إلا هوادةً. والشعب العربي الإسلامي يستيقظ من سباته رادّاً العدوّ من أراضيه. كذلك يأمل الشاعر أن تلتحم هذه القطع وتنزل على العدوّ صواعق تغمره بالنار والموت:

أرَى قِطَعَـاً مِـن أمَّتِـي فِـي عَرَائِـهِ ... نُثِـرنَ كَأشـلاءٍ وَقَـد كُـنَّ أكبُـدَا
رُوَيـدَاً فلسـطِينُ فَلَيلُـكَ يَنجلِـي ... وَمَا أقرَبُ اليَومَ الَّذِي كانَ أبعَدَا
سَـكَتنا عَـنِ البَـاغِي اللَّئِيمِ هـوادةً ... وَقَـد غَـرَّهُ منّـا النَّـدى فَتَمَـرَّدا
سَنَنقُضُ في الجلّى عَلَيهِم صَوَاعِقاً ... وَنَغمُـرُهم بِالنّـارِ وَالعَـارِ وَالـرَّدَى

(البرادعي، ٢٠٠٦، ص٣٩٢)

والشاعر يصور بصورة رائعة تمزق الأمة العربية وتشتّت شملها وتفرق كلمتها. ولكن هذا لا يعود إلى الأمة العربية بنفسها بل هو من بلادة حكامها، أما الشعوب فقلوبها متضامنة وستنقض عاجلاً أم آجلاً على عدوها وتغمره بالنار والعار.

٣. كشف زيف الصهيونية وإدانة عدوانيتها

يدّعي الصهاينة أن أجدادهم كانوا يسكنون أرض فلسطين، إذن هي ميراثهم ويحق لهم المطالبة بها. فتصدّى الأدباء لهذا الإدعاء الزائف وقاموا بتسفيهه في قصائدهم ووصفوا عمله بالاحتلال والاغتصاب. من الأدباء الذين ردّوا على هذا الزعم الباطل، إيليا أبو ماضي الذي دحض فكرة حق الغزاة في أرض فلسطين وأجابهم بأن هذه الأرض كانت سكناً لأجدادنا وسوف تبقى لأحفادنا بعدنا وأنتم تستطيعون أن تستغنوا عنها بسواها ولكننا لا غني لنا عنها

ولا تحسبوا أنكم تستطيعون أن تتخذوها موطناً لكم؛ لأنها لم تكن يوماً موطناً لكم:

وَكانَـــت لِأجـــدَادنا قَبلَنَـــا وَتَبقَـــى لأحفَادِنـــا بَعـــدَنَا

وَإنَّ لَكُـــم بِســـوَاها غِنَـــىً وَلَـــيسَ لَنَـــا بسِـــوَاها غِـــنى

فَـــلا تَحسَـــبُوها لَكُـــم مَوطِنـــاً فَلَـــم تَـــكُ يَومـــاً لَكُـــم مَوطِنـــا

نَصَـــحناكُم فَـــارعَوُوا وَانبَـــذُوا بليفـــورَ ذيّالـــكَ الأرعَنَـــا

وإمّـــا أبَيـــتُم فأوصِـــيكُم بِـــأن تحمِلُـــوا مَعَكـــم الأكْفُنَـــا

فإنّـــا سَـــنَجعَلُ مِـــن أرضِـــنا لَنَـــا وَطَنـــاً وَلَكـــم وَطَنـــا

(أبو ماضي، ٢٠٠٥، ص٤٤١)

نرى في هذه القصيدة أن إيليا أبا ماضي يكرر ما للعرب من حق في هذه الأرض بقوله: «وكانت لأجدادنا قبلنا و...»، ويهدد اليهود إن أرادوا أن يسكنوا على هذه الأرض بقوة السلاح فإن العرب سوف يواجهونهم بمثل تلك القوة وهو ينصحهم أن لا يظنوا أنها كانت يوماً ما موطناً لهم بل هي أرض عربية، وسوف تبقى للعرب أيضاً وليس هذا مطلباً عسيراً علينا وما ترومونه أقرب إلى المحال. ثم يصعد الشاع من لهجته ويهددهم، إن لم يأخذوا بنصائحه فعليهم أن يحملوا أكفانهم معهم ويهيئوا أنفسهم للموت.

الشاعر القروي يندّد باليهود الذين اغتصبوا فلسطين، وقصيدته "وعد بلفور" تبلغ سبعين بيتاً وفيها يمتلئ قلبه غيظاً وتشتعل حماسةً لإنقاذ الوطن السليب. هو لم يتصنّع ولو يزخرف عواطفه بل كان يتصبّب كالحمم ويندفع كالشلال.

«هو في أعاصيره ناقم على من هدروا الحق العربي في الأرض وسلّموا فلسطين رخيصةً لحفنةٍ من الغزاة على حساب شعب كامل. إنه ضد الحكومة جلالة الملكة الإنكليزية بالمطلق وضد عطوفة معاني بلفور الذي رأى أنه يمثل الحق وجوانبه الفضلى والمثلى فهو أبعد ما يكون عن الحق، بل والحق منه براء» (بيضون، ١٩٩٣، ص٧١).

فيقول الشاعر القروي في هذا الشأن:

الحَـقُّ مِنـكَ وَمِـن وُعُـودِكَ أكبَـرُ فَاحسَب حِسابَ الحَقِّ يا مُتَجبِّرُ

تَعِـدُ الوُعـودَ وتَقتَضِـي إنجازَهـا مُهَـجَ العِبـادِ خَسِـئتَ يـا مُسـتَعمِرُ

عِـد مَـن تَشَـاء بِمـا تَشَـاء فَإنما دَعـوَاكَ خَاسِـرةٌ وَوَعـدُكَ أخسَـرُ

يـا مَصـدَرَ الكِذبِ الَّـذي مَـا بَعـدَهُ كِـذبٌ تَعَـالى الحَـقُّ عَمَّـا تَنشُـرُ

(القروي، ١٩٨٣، ص٢٢٧)

أيها الظالم، الحق أكبر منك ومما تعد به نفسك. فعليك أن تحسب له حسابه. أنت تقدم الوعود وتقول بأنك سوف تنجزها وكيف تنجزها بإراقة الدماء وزهق الأنفس. أذلك الله أيها المستعمر الظالم. أوعد بما شئت، ومن شئت فما دعواك إلا خسارة وما وعدك إلا انهزام. أنت كاذب ومصدر للكذب والحق أجلّ وأعظم من كذبك.

٤. التنديد بتقصير العرب وحكامهم في الدفاع عن الحق

كان الشاعر القروي في مقدمة من ندّدوا سياسة حكام العرب وتقصيرهم عم مسؤوليتهم الإسلامي والإنساني، وقال في ذلك: «ما صدر بيان عن مؤتمرٍ من مؤتمراتنا أو تصريح لزعيم من زعمائها إلّا وكانت حقوق شعب فلسطين خاتمة مطافه كأنّه "والسلام عليكم ورحمة الله" ليقال إن المؤتمرين أو المدلين بالتصاريح لم يغفلوا هذه الناحية أو لأنّهم يخشون إذا هم أهملوا ذكرها، سخط الجماهير.. فكأنّما هذه الحقوق قضية فرعية بالنسبة إلى ما يعدونه القضية الجذرية الأولى بالتقديم، وهي رجوع إسرائيل عن أراضينا التي احتلّها سنة ١٩٦٧. وكأنّما هم يجعلون إصرارهم على وضع هذا البند كلّ مرّة في جملة أو نهاية البنود التي يتّفقون عليها، منّة يمنّون بها على الشعب الشريد وجهاداً سياسياً في سبيله لا يقلّ عن الجهاد الحربي. فهل نسي هؤلاء السادة أن مأساة المآسي كلّها إنما هي احتلال فلسطين، وأنه لولا احتلال فلسطين لما احتلّ سواها» (قاسم، ١٩٩٦، ص٣٧٩).

وما ذكرناه من الشاعر القروي واضح إلى أبعد حدّ، وذلك لا يحتاج إلى أيّ تعليق؛ لأن العبارات تؤدي معناها جليّاً، فهو يتّهم زعماء العرب بالقصور عن مهمّتهم العربية والإنسانية؛ لأنّهم افترضوا قضية الفلسطين مسألة فرعية، بينما هي مسألة أساسية تفوق جميع القضايا العربية الإسلامية، وهي لمأساة عظيمة ينظر إليها زعماء العرب كأنه لم يحدث شيء.

ويقول أبو الفضل الوليد في هذا المضمار متسائلاً عن الذين قصّروا في سبيل وطنهم:

كُـلُّ شَـعبٍ لَـه أرضٌ يُـدبّرُها فيمَ التّصَدي لِمَسعَانا وَمَسعَاكِ

مَـن ذَا يَـرُقّ لمفجُـوعٍ بمَوطنِـهِ بَينَ الأراذِلِ أو مِن يَسمَعُ الشّاكي

(الوليد، ١٩٧٢، صص٩٣-٩٤)

يشكو الشاعر في هذين البيتين من مظلومية الشعب الفلسطيني ويندب الإنسانية ويسأل

مسترحماً: هل من إنسانٍ يرقّ لحال شعب فجع في موطنه؟ ومن فجعوه ليسوا إلا أراذل لا يرجى منهم أيّ خيرٍ. ويبدو من ظاهر البيتين أن الشاعر يندب الإنسانية جميعاً سواءً كانوا عرباً أم غير العرب، «فإذا كان الشعب الفلسطيني مقصراً في احتلال أرضه بيد الصهاينة، فإنّ الحكام العرب أكثر تقصيراً منه لأنهم لم يواجهوا العدو ولم يدعموا الشعب الفلسطيني. بقيت آذان الحكام العرب صماء وعيونهم عمياء، لا يرون ولا يسمعون إلا ما يراد لهم أن يسمعوه أو يبصروه من أسيادهم» (قطامي، د.ت، ص١٤٧).

ونرى الشاعر تهزّه هذه النكبة فيذمّ زعماء الدول العربية وقادتها وينعتهم بالخيانة والعار. لذلك لا يرى بدّاً إلّا أن يدعو إلى الثورة والانتفاضة. ونرى أبا الفضل الوليد يعطي قضية الفلسطين طابعاً عربياً إسلامياً حيث يقول: «أصحيحٌ يتغلب نصف مليون يهودي على ٧٠ مليون عربي و٤٠٠ مليون مسلم؟ أصحيحٌ أن فلسطين ذهبت لقمةً سائغةً في فم المشردين، وشعباً يقف متفرجاً، أو هو ضحية الكذب والخداع وخيانة القادة والحكام؟» (قطامي، د.ت، ص١٤٦).

ويستخدم الوليد لغة السخرية في التعريض بحكام العرب وقادته وهو يختلف عن سائر الشعراء والأدباء في هذا المضمار فتراه يقول مستهزئاً بالقادة والحكام العرب:

مُلـوكٌ ظَنَنّـاهُم صُـقوراً وعنـدما غَزينا رأينا صَاحِبَ التّاجِ هُدهُد

(قطامي، د.ت، ص١٤٩)

يحسب الشاعر حكام العرب صقوراً صعبة المراس، لكنهم في الشدائد أماطوا اللثام عن هداهد لا خير فيها ولا منفعة. وهو يتهم الحكام الذين اعتبروا أنفسهم حماة فلسطين أنهم هم الذين حالفوا أمريكا وإسرائيل على أبنائهم، قائلاً: «لو لم يغدر به الذين يزعمون أنهم حماته ولا يزالون يغدرون ويحالفون أميركا وإسرائيل لإبادة أبنائه» (قطامي، د.ت، ص٣٧٩).

ونجد الشاعر القروي في "الأعاصير" و"الزمازم" «ينحى باللائمة كثيراً على أعوان الأجانب من أبناء البلاد العربية الذين كانوا للدخيل سنداً ورمزاً».

فِـــي فِلِســـطينَ آيَـــةٌ لِلرَّسُـــولِ المنـــافِقِ
سَـــجّلَت فِـــي صَـــحَائِفٍ مِـــنَ قَتَـــامِ الحَرائِـــقِ
رَتَّلَـــتَهُنَّ لِلـــوَرَى فوّهـــات البَنَـــادِقِ
وَرَوَتهُـــنّ ألسُـــنٌ مِـــن حِبَـــالِ المَشَـــانِقِ

يَـــــا لئامَـــــاً بِعَهـــــدِهم | لم يَقُـــــم عُـــــذرٌ وَاثِـــــقِ
كُلُّكُـــــم جـــــدّ آفِـــــكٍ | كَـــــذَّبُونا بِصَـــــادِقِ!

(شرارة، ١٩٣٦، ص٢٦)

في هذه الأبيات يرى الشاعر القروي أن فلسطين أصبحت علامة نستطيع أن نعرف بها الرسول المنافق المرائي من الرسول الحقيقي المجاهد، وكل ما جرى عليها وما رتلته بنادق الحرب وما روته حبال المشانق كشف عن زيف الحكام وعن عهودهم الكاذبة.

وهذا موسى حداد شاعر مهجريّ آخر قد أعطى فلسطين جزءاً غير يسير من أشعاره وندّد بحكام العرب وبتخاذلهم أمام تمرد الصهاينة، ويصف حال الشعب الفلسطيني كيف مدّ يده للمساعدة ولكن حكام العرب نيام أو كالنيام يقول:

فلسـطينُ مَـدَّت يَـديها وصَـاحَت | أغِيثُـوا فلسـطينَ طـالَ الهُجُـودُ

(البرادعي، ٢٠٠٦، ص٣٠٠)

٥. تهديد المحتلين والدعوة إلى النضال

ومما قام به أدباء المهجر في نضالهم الأدبي مع العدو المحتل، أنهم كانوا يهددون الصهاينة ويدعون مواطنيهم إلى مقاومة العدو ومحاربته. والبعض منهم كان يعتبره المبدأ الأول لتحرير أرض فلسطين يقول أمين الريحاني في إحدى كتاباته: «والمبدأ الجوهري الأول هو مقاومة الصهيونية، فهل تستطيعون أن تقاوموها بشقاقكم يا ترى، وبتخربكم، وبمطاعن بعضكم إلى بعض؟» (الريحاني، ١٩٧٩، ص٧١).

وأنصت إلى الشاعر القروي وهو يحرض العرب على الثورة:

يـا عـربُ والثّـاراتُ قـد خُلِقَـت لَكُـم | اليـومَ تَفتخِـرُ العُلَـى أن تَثـأرُوا
يَدعُوكَ شَعبُكَ يا صلاحَ الدّينِ قُم | تـأبى المـروءةُ أن تَنـامَ ويَسـهَرُوا
نَسِـي الصـليبيونَ مـا علّمـتَهم | قبلَ الرّحيلِ فعُدْ إليهم يَـذَّكَرُوا
إن تـأمَني خطـرَ البِحـارِ فإنمـا | دَمـعُ الأرامـلِ واليَتـامى أخطَـرُ

(القروي، ١٩٨٣، صص٢٢٧-٢٢٨)

يهيّج الشاعر الشعب العربي الإسلامي بأنّهم أصحاب الثأر، والتاريخ يشهد بذلك، فيذكرهم أيامهم الخالدة وخاصة أيام صلاح الدين وما فعله بالصليبيين. ويطلب منه أن يعود ويكرّر

ضربته القاضية عليهم؛ لأنّهم نسوا درسه وطعنوا في فلذة من الوطن العربي الإسلامي، فمن يأمن من أخطار البحر فإن دموع اليتامى لا منجى منها وهي سوف تقوض عرش الظلم حتماً.

ويتضح وعي الشاعر أبو الفضل الوليد بالقضايا المصيرية وخاصةً قضية فلسطين في قصيدته "المقدسية" فيقول مخاطباً القدس:

أنتِ العَظيمةُ فوقَ الرَّملِ نائمةً ... أنتَ الكريمةُ في أيّامِ بُؤساكِ
وافاكِ في لَيلةِ المعراجِ سَيِّدُنا ... محمَّدٌ وكتابُ اللهِ سمّاكِ
إنَّ السُّيوفَ عَلَى الأغمَادِ حاقِدَةٌ ... لأنَّها لم تُجَرَّد في رَزَاياكِ
يَمشِي الأجانِبُ فِي غَوغَائهم مَرِحاً ... ولا سُكونَ لِمَن شَاقَتهُ سُكنَاكِ

(الوليد، ١٩٧٢، ص٩٣)

ولا يكفي أبو الفضل الوليد بالندم والبكاء أمام أطلال الذكريات في القدس، بل يدعو إلى الثورة ويعتقد أنّ السيوف إذا كانت في أغماده فلا يجدي شيئاً ولو كانت حاقدة. فالقوة تفرض إرادتها ولا قوة بغير وحدة تدك عرش التخاذل وتزلزل جدار الاستسلام والتفرقة. هذا يثبت أنّ رؤية الوليد السياسية كانت ناضجة إزاء هذه القضية التي تتعلق بالإنسانية عربياً وإسلامياً.

وهو يقول في مكان آخر:

فَحَرِّضيهِم على تَقطيعِ سلسلةٍ ... هُم راسِفُون لها ما بينَ أشراكِ
بالرُّومِ ضَحِّي وضحِّي باليهودِ معاً ... فَاللهُ تُرضيهِ في الأضحى ضَحاياكِ

(الوليد، ١٩٧٢، صص٩٣-٩٤)

كذلك إلياس فرحات الذي أحس بنوايا الحكومة البريطانية وهي تقدم فلسطين لقمة سائغة إلى اليهود. فأخذ يهاجم الملوك العرب لتصديقهم بوعود الغرب المزيفة وسكوتهم إزاء المظالم التي تجري في فلسطين، فكتب ملحمة شعرية يقول فيها:

يا مَن طَغَوا وتَمادوا عاقِدينَ على ... وعدٍ سَخيفٍ بِنَاء الشُّمَّخِ القبَبِ
سَتَعلَمُونَ مَتى حَاقَ البَلاءُ بِكم ... كَم فِي الوُعودِ وَفِي الآمالِ مِن كذبِ
سَنَغسِلُ القُدسَ مِن أوساخِ أمَّتِكم ... يا أمَةَ الوَسخِ المطلِي بِالذَّهَبِ
والتَّلُّ تَلُّ أبِيب سَوفَ نَترُكُهَا ... تَلاً مِن الرُّومِ في بحرٍ مِن اللَّهَبِ
بَنَيتُمُوها بمالِ السّحتِ عَاصِمةً ... وَلَيس يَعصِمُكم منّا سِوى الهربِ

(فرحات، ١٩٥٤، ص٦٢)

هذا المقطع من القصيدة مليء بالمفردات التي تحمل معاني السخط والغضب «طغوا، تمردوا، وعد سخي، أمة الوسخ...»، وهي تعبر عن مدى ما يحمله الشاعر في نفسه من همّ. ونرى الشاعر يصفهم بالطغيان والتمادي في غيّهم. ثم يهدّدهم بإيقاع البلاء عليهم فعندئذٍ يتضح كذب آمالهم وأمانيهم. والشاعر ينعتهم بما عرفوا زمن النبي من الوساخة والقذارة ويعدهم بأن الشعب العربي الإسلامي سيزيل من القدس أوساخهم وسيترك تل أبيب تلّاً في بحرٍ من النار.

وفي قصيدةٍ أخرى ينظر الشاعر إلياس فرحات إلى يهود نظرة احتقار وازدراء ويعتبرهم دون البشر، يقول وهو يسخر منهم:

وَمَـا شـأنُ اليَهُـود وَكيـفَ تَعلُـو ... مـع التّـزآزِ أصـواتُ النَّعيـبِ
وَهَـل صـارَ اليهـودُ اليـومَ ناسَـاً ... إذَن فالنّـاسُ في وَضـعٍ مَعيـبِ

(فرحات، ١٩٦٧، ص٤٩)

ينظر القروي إلى المستقبل ويصف واقع اليهود وصفاً دقيقاً لامساً بؤرة الجرح وكاشفاً اللثام عن أطماع اليهود، ويرى أن السلام في العالم أمنية لا تحقق؛ لأن أمريكا واليهود أكبر همّهما هو التسلح وبثّ النشاط في الشركات التي تولد الآلات الفتاكة، فهم في الواقع يتنكرون خلف جلود ظاهرها إنسان وخلفها وحشٍ ضارٍ، ومهما بلغوا في المدنية يبقون بربراً بل أخس من البربر يقول:

أمنيّـةُ الـدُّنيا السّـلامُ وَإنمـا ... تَحقيقُهـا فَـرضٌ عَلَـى مَـن يَقـدِرُ
هَيهـاتَ وَالتّسـليحُ أكـبرُ همِّـكِ ... وَالـوَحشُ خَلـفَ جلُـودِكم مُتنكِّـرُ
مـا روَّضَ التّمسـاحَ صِـقلُ أديمـهِ ... مهمـا تَمَـدَّنتُم فـأنتم بَربَـرُ

(القروي، ١٩٩٦، صص٢٢٧-٢٣٠)

وينادي أبو الفضل الوليد الأمة العربية، ويطلب منها أن تطهر القدس الشريفة من رجس اليهود ومن دنسهم، ولا تأتمن على قوم لا شرف لهم ولا هم يلتزمون بوعودهم، ولا ذمة لهم تردعهم من الفتك بضعاف الناس، يقول في ذلك:

وَطَهّري القدسَ مِن رِجسٍ ومِن دَنسٍ ... وَأصـلي سـيفَ سـفّاكٍ لسـفّاكِ
مـاذا تَـرجينَ مِـن قـومٍ بِـلا شَـرفٍ ... وَلا عُهُـودٍ وَمَنـهم كُـلّ فَتّـاكِ

(الوليد، ١٩٧٢، ص٩٣)

وهذا بشارة الخوري شاعر مهجري آخر يمجّد جهاد أبناء فلسطين ويعتبر الموت في هذا السبيل شرف تتباهى به فلسطين والعروبة، وطريقاً قويماً لبناء المعالي وكل جرح يسيل من أبناء فلسطين تلثمه شفاه العروبة والإنسانية بخشوع، وكل أنين يصدر من الشعب الفلسطيني فهو كالطيف المنير، ترشفه مقلة العرب والإنسانية ويدل منتهى التفاني في حب فلسطين والشعب الفلسطيني يقول بشارة الخوري:

يـا جهـاداً صَـفّقَ المجـدُ لـهُ ... لـبِسَ العـارُ عليـه الأرجُوانـا
شَـرَفٌ بَاهَـت فِلسـطينُ بِـه ... وَبِنـاءٌ لِلمَعَـالي لا يُـدانى
إنّ جَرحـاً سَـال مِـن جَبـهتِها ... لَثَمَتْـهُ بِخُشُـوعٍ شَـفَتَانا
وَأنِينَـاً بَاحَـت النَّجـوى بِـه ... عَربيّـاً رَشَـفَتْهُ مُقلَتَانَـا

(الخوري، ١٩٩٣، ص١٨٠)

٦. التنديد بالإنكليز من أجل مساعدتها للصهاينة على إقامة كيان لهم في فلسطين

إن شعراء المهجر كانوا يعيشون في الغرب وكانوا مطلعين تماماً على ما يجري في الساحة السياسية العالمية وكانوا يعلمون أيضاً أن اليهود لم يتمكنوا من أرض فلسطين إلا بمساندة الغرب لهم في سياسته وأسلحته الفتاكة. جاء في كتابات إلياس فرحات بهذا الصدد:

هم «لا يستطيعون الوقوف في وجه العرب، ولكن الذي ساعدهم على احتلال فلسطين وجود الإنجليز والدول الأوربية من ورائهم. أما بعد أن يخرج الإنجليز من فلسطين، فلن يكون هناك من يحميهم ويدافع عنهم، ولن يستطيعوا الوقوف في وجه العرب، إذ سرعان ما سيبتلعهم المحيط العربي، ولابد أن يتحملوا مسؤولية أعمالهم» (قطامي، د.ت، ص١٥١). هكذا كان يفكر فرحات، وهذا ما جعله يرفع صوته من خلال دوامة ألم النكبة قائلاً:

قُـل لِلمُغـيرِ عَلَـى مَنازِلنـا ... كَالسَّـيلِ ينفُـذُ مِـن هُنـا وَهُنـا
حَمَلَـت نفسَـك فـوقَ طاقَتِهـا ... وَرَكِبَـت ويحَـك مَركَبـاً خَشِـنا
إن لم يَكُـن زَمَـنٌ يُوافقُنـا ... للثّـأرِ منـكَ سَـنَخلُقُ الزَّمنـا
فَاجعَـل ضَـريحَكَ جَـاهزاً أبـداً ... وَأعِـد نَعشَـكَ وَاحمِـل الكَفَنـا

(فرحات، ١٩٥٤، صص٨٨-٨٩)

يهدّد الشاعر في هذه الأبيات المغتصبين الذين أغاروا على هذه الأرض المقدسة ويقول لهم بأنهم حمّلوا أنفسهم ما لا تطيق حمله، وركبوا مركباً لم يلبثوا طويلاً فوقه، وإذا كان

الزمان لا يجارينا لنثأر منكم فإننا سوف نخلق الزمان خلقاً جديداً واستعدوا للموت فإنه آتيكم لا محالة.

ويقول أبو الفضل الوليد:

الإنكليـزُ اسـتَبَدّوا وَاليَهـودُ بَغَـوا مُستَضحِكينَ لدَمعِ المُسلمِ البَاكي

(الوليد، ١٩٧٢، ص٩٥)

إن نزوعه القومي الصادق واضح في هذا البيت ولم تغب عن بصيرته الأحداث التي تجري على أمته وإن غابت عن بصره. وكان كمن يرصد كل ما يحدث في وطنه ليرسمه في قوافيه. فكان يفرحه ما يفرح أهله وأحبته في وطنه ويبكيه ما يبكيهم.

ومن الأدباء الذين نددوا بسياسة الإنكليز لمساعداته على تشكيل حكومة اليهود هو الأديب المهجري ميخائيل نعيمه. يرى ميخائيل أن ما قامت به الإنكليز من مساعدة اليهود ليستوطنوا أرض فلسطين عمل غير شرعي لا تجوّزه الديانات السماوية، وكيف يحق للإنكليز أن يدّعوا أن أجداد اليهود سكنوا أرض فلسطين فهي ملك لهم قد غصبها الفلسطينيون، وهل عاش السكسونيون أمريكا وكندا وأستراليا من قبل حتى يحق للإنكليز أن يستحلوها اليوم جاء في مقال له بعنوان "فلسطين مملكة يهودية":

«فبأي شرعٍ أو دين أو حق يجوز للإنكليزي أو سواه أن يأتي بيهوديٍّ إلى ساكن فلسطين ويقول له: أجداد هذا الرجل كانوا يقطنون في هذه البلاد من ألفي سنةٍ. وهكذا فالأرض أرضه لأنه ورثها عن أجداده. أما أنت ففتّش لك عن أرض غير هذه الأرض فقد تعدّيت على حقوق هذا الإنسان تعدياً. فهل قطن أجداد الإنكليزي في كندا أو أستراليا أو الترنسفال أو مصر أو هند أو غيرها؟ ومن أوحي له بحق الوراثة في تلك البلدان؟» (عواد، د.ت، ص١٠).

ويعتبر ميخائيل نعيمة تشكيل دولة يهودية في الأراضي الفلسطينية بأنّها جريمة لا تغتفر، ويعتقد أن أسباب هذه المسألة ترجع إلى الأهداف السياسية والدينية البغيضة. أنصت إليه وهو يقول: «والله لتلك أكبر جريمة ترتكبها إنكلترا بل العالم كلّه إذا باعوا فلسطين وسكانها لليهود لمطامح سياسية أو ترهات دينية» (عواد، د.ت، ص١٠).

وبهذا وقف الشعراء والأدباء المهجريون موقفاً صارماً لا غبار عليها، ضد الاستعمار البريطاني- الإسرائيلي، وكان غضبهم واضحاً في شعرهم ونثرهم، وكان اعتناءهم ببيان

أفكارهم أكثر من التزامهم بالأمور الفنية في الأدب.

٧. ضرورة الوحدة العربية الإسلامية

إن أمين الريحاني كما تنبأ بنوايا الإنكليز واليهود لتأسيس دولة اليهود على أرض فلسطين، كذلك علم أن الطريق الوحيد للخلاص من هذه الكارثة التي تنداح في سماء العالم العربي الإسلامي هي المقاومة ووحدة الأمم العربية الإسلامية، وقد قسم الأمور التي تتعلق بهذه القضية إلى ثلاثة أقسام: ١- إتحاد الشعب الفلسطيني والأمة العربية. ٢- جهاد عام يشمل كل الأمة العربية. ٣- التضحية بالنفس والنفيس في هذا السبيل.

جاء في مقاله:

«إخواني، من الأمور التي تتعلق بقضيتنا العربية ثلاثة أصبحت عندي في منزلة اليقين: أولاً: إن اتحاد عرب فلسطين في فلسطين اتحاد ثابت وطيد لا يتزعزع، هو المثال الأعلى لما ينبغي أن يكون هدف الأمة العربية جمعاء. ثانياً: إن الجهاد في سبيل القضية الفلسطينية خصوصاً والقضية العربية عموماً جهاد شديد عميم، يخولنا أن نغتبط به. ثالثاً: إن التضحية بالدم والمال في سبيل الوطن لا تذهب اليوم سدىً» (سويد، ١٩٨٨، ص٧٢).

هذه السطور التي أوردناها يكشف بوضوح عن فلسفة الريحاني إزاء قضية فلسطين، وتقع في مقدمتها الدعوة إلى الوحدة والتضامن. يعتقد الريحاني أن الأمة العربية الإسلامية إذا لم تكن متّحدة، فلا تثمر ولا تجدي انتفاضتهم ولا تنتهي إلى تحرير الأراضي المحتلة. كما أنه كان يدعو إلى الوحدة في كثير من محاضراته التي كان يلقيها في الولايات المتحدة، يطلب من عرب فلسطين الذين ينقسمون إلى طوائف متعددة أن ينبذوا خلافاتهم القومية والقبلية ويتحدوا أمام هذا العدو المشترك، وإلا فإن الكارثة ستحل لا محالة بأرض فلسطين، نراه يرفع عقيرته في إحدى هذه المحاضرات قائلاً:

«الفلسطينيون والعرب عليهم أن يتوحدوا في المعركة ضد الصهيونية. وإلا تستنزل بهم المصيبة والكارثة. الحسينيون وآل نشاشيبي وآل طوقان وآل عبد الهادي وغيرهم من السلائل الفلسطينية المعروفة، إذا ظلوا منقسمين فستحل الكارثة بفلسطين» (سويد، ١٩٨٨، ص٧١).

والشاعر القروي يمجد الشهداء الذين أصبحوا كحبل وحلقة وصل تجمع ما تناثر من دنيا العروبة تجمع بين ما انفرد منها وكلامه يعتبر صرخة مدوية في وجه أنانية اليهود

الغاشمة، يقول:

أكـرِم بحبـلٍ غَـدا لِلعـربِ رابطـةً وَعقـدةً وَحَّـدَت لِلعَـرَبِ مُعتَقَـدا

(القروي، ١٩٨٣، ص١٣٥)

واضح أن القروي يعتبر الإسلام رمزاً للوحدة بين الدول الإسلامية، وكأنه اقتبس بيته المذكور من هذه الآية الكريمة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾.

٨. اقتراح تشكيل دولة يهودية في بلاد آخر

كان مقتل ملايين من اليهود ـ لو صح ـ في الحرب العالمية الثانية بيد هيتلر، ذريعةً على تأسيس دولةٍ يهوديةٍ في الأراضي الفلسطينية. إن الشعراء والأدباء كانوا في مقدمة الذين قاموا بالنضال مع هذه المسألة، واتخذوا من أدبهم مجالاً لأن يفضحوا الدولتين الإنكليزية والأمريكية. هؤلاء الأدباء كانوا واعين بخطورة تشكيل دولة يهودية في أرض فلسطين، لذلك قاموا بتنديد هذا العمل واقترحوا أمكنة أخرى لتشكيل هذه الدولة المشؤومة.

واقترح إيليا أبو ماضي في قصيدته تحت عنوان "خطب فلسطين" تأسيس دولة يهودية في لندن. وكان يعتقد أن لندن أوسع لهم من القدس وأحب إليهم من القدس.

فَقُـــل لليهـــودِ وَأشـــياعِهم لَقَـد خَـدَعَتكُم بُـروقُ المُـنى

ألا ليـــتَ بلفـــورُ أعطـــاكم بـــلاداً لـــه لا بـــلاداً لنـــا

فَلَنـــدن أرحَـــبُ مِـــن "قُدسِـــنا" وَأنـــتم أحَـــبُّ إلى "لنـــدنا"

(أبو ماضي، ٢٠٠٥، ص٤٤٠)

ويبدو أن هناك اقتراح من قبل أمين الريحاني لتأسيس دولة لليهود في ولاية تكساس بأميركا جاء في مقال نشرته مجلة "فلسطين وشرق الأردن" الإنكليزية ولكنا لم نعثر على نص الاقتراح. (جبر، ١٩٦٤، ص١٣٥)

هذا ولا ندّعي أنّنا استوفينا المأساة الفلسطينية بجميع جوانبه في الأدب المهجري؛ لأنها مأساة تجل عن الوصف وكل جانب منها يستوعب لعشرات الكتب والمقالات.

الخاتمة

١. إن الشعراء والأدباء المهجريين كانوا ملتزمين بكثيرٍ من القضايا الوطنية والإنسانية رغم أنهم كانوا يعيشون خارج الوطن العربي. لكنهم كانوا يتابعون قضايا وطنهم وشعبهم، وهذا يعكس مدى وعيهم ووطنيتهم.

٢. كانت القضية الفلسطينية ذات طابع إنساني عام؛ لأن الشعراء المهجريين كانوا مسيحيين وكان مسقط رأسهم سائر الأقطار العربية، فهذا لم يمنعهم من التطرق إلى مسألة تتعلق بجزءٍ من الوطن العربي.

٣. كان كثير من الأدباء والشعراء المهجريين على وعي لفكرة تشكيل دولة يهودية في فلسطين في وقت مبكرٍ، فكثيراً ما نراهم كانوا يحذّرون الحكام والشعب العربي والفلسطيني من ذلك. وهذا يثبت دور الأدب الاجتماعي في توعية الشعب.

٤. إن الأدب المهجري رغم أنه نشأ خارج الأقطار العربية، إلّا أنه كان يساير الأحداث التي تحدث فيها. كانوا يناقشون الأعداء مناقشة منطقية. يثبت هذا أنهم كانوا في الصفّ المقدم في مواجهة أعداء الإنسانية.

المصادر والمراجع

١. أبو ماضي، إيليا (٢٠٠٥م). *الديوان*. تقديم وتعليق إبراهيم شمس الدين، بيروت: منشورات مؤسسة النور للمطبوعات.

٢. أبوحاقة، أحمد (١٩٧٩م). *الالتزام في الشعر العربي*. بيروت: دار العلم للملايين.

٣. الريحاني، أمين (١٩٥٦م). *القوميات*. ج ٢، بيروت: دار الريحاني.

٤. العالم، محمود أمين (١٩٧٠م). *الثقافة والثورة*. بيروت: دار الآداب.

٥. أمطانيوس، ميخائيل (١٩٦٨م). *دراسات في الشعر العربي الحديث: وفق المنهج النقدي الديالكتيكي*. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.

٦. البرادعي، محيي الدين (٢٠٠٦م). *المهاجرة والمهاجرين*. ج ١، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

٧. سويد، أحمد (١٩٨٨م). *أمين الريحاني*. بيروت: دار العلم للملايين.

٨. فرحات، إلياس (١٩٥٤م). *الخريف*. سان بالو: مطبعة صفدي.

٩. فرحات، إلياس (١٩٦٧م). *مطلع الشتاء*. القاهرة: مكتبة القاهرة.

١٠. برهومي، خليل (١٩٩٣م). *الأخطل الصغير بين الهوى والشباب والجمال*. بيروت: دار الكتب العلمية.

١١. توفيق بيضون، حيدر (١٩٩٣م). *الشاعر القروي رشيد سليم الخوري*. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢. جبر، جميل (١٩٦٤م). *أمين الريحاني سيرته وأدبه*. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.

١٣. شرارة، عبد اللطيف (١٩٣٦م). *الشاعر القروي*. بيروت: دار صادر.

١٤. قاسم، محمد أحمد (١٩٩٦م). *الشاعر القروي: الأعمال الكاملة للنشر*. طرابلس: منشورات جروس برس.

١٥. مكتب التدقيق اللغوي (دون تا). *الشاعر القروي: الأعمال الكاملة للشعر*. طرابلس: منشورات جروس برس.

١٦. عبد الدايم، صابر (١٩٩٣م). *أدب المهجر*. بيروت: دار المعارف.

١٧. عبد الله الخوري، بشارة (١٩٩٣م). *شعر الأخطل الصغير*. ط ٤، بيروت: دار الكتاب العربي.

١٨. عواد، سيمون (١٩٧٣م). *أحاديث مع الصحافة*. بيروت: مؤسسة، أ. بدران وشركاء للطباعة والنشر.

١٩. قطامي، سمير بدوان (دون تا). *إلياس فرحات شاعر العرب*. القاهرة: دار المعارف.

الوليد، أبو الفضل (١٩٧٢م). *ديوان أبي الفضل الوليد*. مراجعة وتقديم جورج مصروع، بيروت: دار الثقافة.